

الصحافة الحرة تساعد على تحقيق انطلاقة التقدم والإبداع العلمي

بقلم آلان ليشنر ومحمد حسن

ترجمة إيهاب عبد الرحيم

إن "الربيع العربي" الجارية أحداثه حالياً - والذي يدفعه بشجاعة أفراد مصممون على إسماع أصواتهم واحترام حقوقهم كبشر- يكتب فصلاً جديداً في التاريخ المحكي لهذه المنطقة. وبدورها، تفرض التغيرات الأخيرة تحديات كثيرة، لكنها توفر أيضاً فرصة لاستعادة العصر الذهبي للعلوم العربية، الذي استمر ما بين القرنين السابع والثالث عشر للميلاد.

وعلى أية حال، فالتقدم العلمي لا يحدث في فراغ، فالإعلام العلمي بمفهومه الواسع أمر ضروري لفهم الجمهور ولدعم المشاريع البحثية. وبمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي للصحفيين العلميين في الدوحة ما بين 27-29 يونيو الجاري، يبدو الوقت مثالياً للتأكيد مجدداً على أهمية وجود صحافة حرة: فأية منطقة تأمل في أن يتم الاعتراف بها كمهد للإبداع تحتاج إلى صحافة جماهيرية مستقلة تتسم بكونها قادرة على البحث عن الحقيقة، دون تدخل، وتوفر في الوقت نفسه قناة للتواصل بين العلم وبقية المجتمع.

وفي نهاية المطاف، فإن حرية الصحافة تساعد على توجيه التقدم العلمي، الذي يدفع بدوره الابتكار والازدهار الاقتصادي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن العلم والتوصيل الدقيق للاكتشافات العلمية يسيران جنباً إلى جنب: فالصحافة الجيدة، مثلها مثل العلم الجيد، تزدهر على الانفتاح واحترام الحقائق المستندة إلى الأدلة.

وبجميع المقاييس، يتسارع صعود الصحافة العلمية في العالم الناطق باللغة العربية، لكن ينبغي رعايتها بعمق أكثر، جنباً إلى جنب مع العلوم والتكنولوجيا على وجه العموم. وفي هذا السياق، فإن الرابطة العربية للإعلاميين العلميين (ASJA) - التي تأسست في عام 2006- تخدم اليوم نحو مئتي عضو. وقد نظمت الرابطة مؤتمرها الإقليمي الأول حول الصحافة العلمية في مدينة فاس المغربية في عام 2008، كما فازت مؤخرًا بمناقصة عالمية- جنباً إلى جنب مع الجمعية الوطنية الأمريكية للكتاب العلميين- لاستضافة المؤتمر العالمي السابع للصحفيين العلميين.

بيد أن هذه النجاحات قد ترافقت مع آلام النمو؛ فقد اعترفت قيادة الرابطة العربية للإعلاميين العلميين، على سبيل المثال، بأن الفريق يحتاج إلى أن يكون أكثر تنوعاً وشمولاً: ففي الوقت الحالي، يهيمن الصحفيون المصريون على مجلس إدارة الرابطة العربية للإعلاميين العلميين، على الرغم من وجود ممثلين عن السودان والأردن أيضاً. وبالإضافة إلى ذلك، فقد لاحظت نادية العوضي، وهي عضو مؤسس في الرابطة ورئيس الاتحاد العالمي للصحفيين العلميين، أن العديد من أعضاء الرابطة العربية للإعلاميين العلميين هم من الباحثين، أو الأطباء، أو الأطباء البيطريين، وأن هذه الانتماءات المزروجة قد تُضعف الموضوعية

الصحافية. كما قالت العوضي أيضا أن بعض المراسلين العلميين الناطقين باللغة العربية قد يترددون في التشكيك في المعلومات الواردة من مصادر حكومية أو من المؤسسات العلمية القوية التي توفر التمويل للأنشطة الصحافية. وعلاوة على ذلك، فإن العديد من المؤسسات البحثية الرائدة في المنطقة ليس لديها مسؤولين إعلاميين أو غيرهم من الموظفين القادرين على إعداد نشرات إخبارية موثوق بها، مما يؤدي إلى انعدام الشفافية بشكل غير مقصود.

يلاحظ أن نفس هذه المشاكل تواجه الصحفيين العلميين في جميع أنحاء العالم، وبالتالي فإن كتابة التقارير الصحفية غير المنحازة قد تمثل مهمة شاقة، وخصوصا عندما تتقاطع القضايا العلمية مع المعتقدات الشخصية. وفي هذا السياق، يمثل التطور والتغير المناخي مثالين فقط على القضايا العديدة التي يمكن أن تثير نزاعات عندما تتعارض الحقائق العلمية مع وجهات النظر الدينية أو السياسية.

عادة ما يُنظر إلى الصراع بين العلم والدين، والمحيط بقضية التطور، باعتباره "مشكلة أمريكية"، وهذا صحيح: ففي دراسة حديثة للجمعية الوطنية الأمريكية لمعلمي العلوم (NSTA)، قال ما يقرب من ثلث الذين أجابوا على الاستطلاع - وعددهم 1050 - أنهم يشعرون بضغط لإدراج بدائل غير علمية للتطور، مثل نظرية الخلق، في الفصول الدراسية للعلوم. لكن الولايات المتحدة ليست وحدها في هذه الصراعات، فقد تفجرت نفس الصراعات بين العلم والدين حتى في البرازيل، وأستراليا، والبلدان الناطقة باللغة العربية. وفي عام 2009، مثلت أنباء أردبيثيكس راميدس *Ardipithecus ramidus*، وهو نوع من أسلاف الإنسان يعود إلى 4.4 ملايين سنة، قفزة كبيرة في فهم التطور البشري، والتي تم توثيقها بشكل جيد وقبولها من قبل الغالبية الساحقة من العلماء في العالم. وعلى الرغم من ذلك، فقد استجابت إحدى الشركات الرائدة في تقديم الخدمات الإخبارية باللغة العربية على الإعلان عن اكتشاف "أردبيثيكس" عن طريق التعليق كذبا بأنه "ليس هناك صلة بين الأصول البشرية وأصول القروود". ولحسن الحظ، فبناء على طلب من مجلة "العلم"، سرعان ما أصدرت قيادة الرابطة العربية للإعلاميين العلميين تصويبا باللغة العربية.

من المشجع للغاية أن نلاحظ أن المؤتمر العالمي للصحفيين العلميين لعام 2011 لن يتجنب التعرض لمثل هذه القضايا الصعبة: فخبيرة التطور أوجيني سكوت، من المركز القومي الأمريكي للتثقيف العلمي، ستكون من بين المتحدثين في ندوة بعنوان "التطور في العالم المتطور للصحافة". وفي هذا السياق، تشير سكوت إلى أن الصحفيين ملتزمون بنشر الآراء المتعارضة، لكنها تضيف قائلة: "إذا قال شخص ما بأن العالم كروي وقال شخص آخر بأنه مسطح، لا يمكن لصحافي أن يتظاهر بأن كلا من وجهتي النظر هاتين دقيقة علميا؛ فواحدة منهما فقط تستند إلى حقائق علمية."

وخلال مؤتمر الصحافة العلمية أيضا، سيتناول المشاركون استراتيجيات للتغطية الموضوعية لقضايا التغير المناخي، والكوارث الطبيعية والنووية، والعوائق المعلوماتية التي تؤدي إلى "العلم السري". وفي هذا السياق، سيكون النقاش الصريح حول التحديات الصحافية أمرا ضروريا لدفع الصحافة العلمية إلى الأمام.

إن القوة المتزايدة للمجتمع العربي للصحافة العلمية يمثل خبرا جيدا حقا لأن هناك الكثير من الأخبار العلمية التي تحتاج إلى تغطية: فدولة قطر - وهي مقر مؤسسة قطر المرموقة، وهي الراعي الرئيسية لمؤتمر الصحفيين العلميين، قد تعهدت باستثمار 2.8 في المئة من ناتجها المحلي الإجمالي سنويا على البحوث. وعلى أساس النسبة المئوية، يضع هذا الاستثمار قطر على قدم المساواة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وفي المملكة العربية السعودية، أنشئت جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا في عام 2009، والتي توظف ضمن هيئتها التدريسية علماء مثل نينا فيدوروف، المستشار العلمي السابق لوزيرة الخارجية الأمريكية، والتي تعمل حاليا رئيسة لأكبر جمعية علمية عامة في العالم. وفي الوقت نفسه، أطلقت الإمارات العربية المتحدة أول قمر صناعي للاستشعار عن بُعد، وهو دبي سات-1. وفي الآونة الأخيرة، أعلنت الحكومة المصرية الجديدة عن خطط لتعزيز ميايتها العلمية بصورة كبيرة، وذلك لبناء مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا التي سيتكلف بناؤها بليون دولار أمريكي، والمسماة على شرف الدكتور أحمد زويل، الحاصل على جائزة نوبل.

بيد أن الاستثمارات العربية في مجال العلوم والتكنولوجيا لا يمكنها أن تُفيد المجتمع بصورة كاملة دون عمل الصحفيين العلميين المستقلين عن التوجهات التحريرية. ومع ظهور العديد من الدول الناطقة باللغة العربية بقوة وتركيز جديدين، ستستفيد هذه البلدان من بناء مجتمع علمي يعمل بشكل جيد، والذي يمكنه أن يساهم في الابتكار والنمو الاقتصادي، ويساعد في الوقت نفسه على فهم التحديات الأساسية القائمة على العلوم في مجالي الصحة والبيئة.

وفي افتتاحية نشرت مؤخرا في مجلة "العلم"، صاغها الباحث المصري إسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية، بهذه الطريقة: "يتطلب العلم حرية الاستعلام، والتحدي، والتفكير، وتخيل ما لا يمكن تخيله." وكذلك تحتاج الصحافة العلمية إلى الأمر نفسه. وفي هذا السياق، سيلعب الصحفيون الناطقون باللغة العربية دورا أساسيا في تحويل منطقتهم، وبالتالي فهم يستحقون منا كل الدعم والاحترام، وكذلك يستحقون الحرية في السعي إلى الحقيقة.

ألان ليشنر هو المدير التنفيذي للجمعية الأمريكية لتقديم العلوم (AAAS). وهو يشغل أيضا منصب الناشر التنفيذي لمجلات "العلم"، و"العلم لطب الترجمة"، و"إشارات علمية".

محمد حسن هو الرئيس المشارك للشبكة العالمية لأكاديميات العلوم (IAP)، كما عمل أيضا كرئيس سابق للأكاديمية الأفريقية للعلوم (AAS)، وكمدبر تنفيذي سابق لأكاديمية العالم الثالث للعلوم.